مجموعة مقالات
علمية ودعوية

جلاءُ الأفهامِ في المحاكمة بيْن حزبِ السّلفيّة وجماعةِ الاعتصام

(المقال الثاني)

عودةٌ إلى التأريخ

وفَهْمُ

جُذُورِ الخلاف بين الجَمَاعتَين

كتبه:

الدكتور/ فيصل بن محمد بن علي

إن الحمد لله، نَحمَده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3]

أما بعد فقد عزمتُ -بعد استشارة الخلق واستخارة واستعانة بالخالق- على نشر مقالاتٍ تَحمل اسم (**جلاءَ الأفهامِ في المُحَاكَمةِ بَيْن حزْب السّلفيّة وجَمَاعة الاعتصامِ**)، وصدرتْ-بعون الله- طليعةُ تلك المقالات بتاريخ ١/ ٦/١٤٣٨هـ، وما إن صدرتْ الطليعة حتى تعالت أصواتٌ وصَيْحاتٌ داعيَةٌ إلى إيقاف تلك المقالات، وفي الحقيقة لا تهمني تلك التعليقات الواردة على مقالاتي بقدر ما يهمني مدى قناعتي بما عُزِمَ لي على نشره.

وهناك صيحاتٌ في ثوب نصيحةٍ تدعو إلى وقف نشر تلك المقالات، لكنّها تأخرت عن موعدها؛ فصارت في غيرِ محلّها ولا محلّ لها من الاعراب، وأصحابها -مع إحسان الظن بهم- غيرُ موفقين فيها؛ لأنه من عَلِم مثلَ علْمي وجرّب مثل تجربتي لقال مثلَ مقولتي، على كل حالٍ فأنا واثقٌ بربي ثم بنفسي، ومُقْدِمٌ على ما عزمتُ عليه، ولا حاجة لي في النّظرِ إلى تلك النصائح.

---

[1] سورة آل عمران (١٠٢)

[2] سورة النساء (١)

[3] سورة الأحزاب (٧٠ -٧١)

وبعد هذه التوطئة فإن المطالعةَ على أخْبار حِقْبَةٍ من الحُقْبِ، تُورِث -مع العقل السليم- علمًا وفهماً بأحوال هذه الحِقْبة، فيستطيع المطّلعُ عليها أن يَتَبيّن له صحةُ الدعاوي من فسادِها، وهو أيضاً العلاج الناجع في معرفة بطلان هذه الأقوال وصحّتِها. وهذا مفيد جدًّا لطالب العلم، بل ويُخرجُه عن الحَيرْة في الدعاوي.

والعودة إلى التأريخ وتفتيشُ كَوامِنه أمرٌ خَطيرٌ وعملٌ شاقٌّ جدّاً، والباحث فيه كمن يريد أن يَلِجَ بحراً خِضَماً هائجاً، خاصة إذا كان يَطْمح من العودةِ إليه وتفتيشهِ إلى محاولة إحقاق الحق وازهاق الباطل، ويريد أن يكون شديدَ الحب للحق، مُوَطِناً نفسه على اتباعه، مبتعداً عن التّعصّب، ورعاً في إصدار الأحكام، مؤثراً مصلحة الإسلام والمسلمين على مصلحة الحزب والمشيخة.

والكذبُ في نَقل الخبر وتزوير التأريخ قد ضرّ بالأمة في ماضيها وحاضرها، وسبّب لها حروباً وفتناً متنوعة؛ ولما كذبت الرافضة في نقل التاريخ واعتمدت على دينها بروايات مكذوبةٍ خرجوا عن الدين، وضلوا وأضلوا أتباعهم عن سواء الحق. وهل ظل افتراق الأمة جاثماً عليها إلا بالاعتماد على حقائق تاريخية مزورة.

لهذا وغيره تَحتَم علينا التأملُ في التأريخ وقراءته قراءة صحيحة؛ ليعين القارئ على فهم الدعاوي وما جرى بين المتخاصِمِين.

وإنني في هذا المقال أحاول عرضَ ما جَرَى في داخل الحركة الإسلامية السلفية في القطر الصومالي مستلهماً في ذلك مما أفادنِيه المعنيون بالقضية مراعياً اختلاف المدارس ومستبعداً ما يصلح أن يكون تحليلاً؛ إذ الأنظار تَختلف في التحليل كثيراً، متوخياً -إن شاء الله- عدم ذكر أسماء الأشخاص في المواطن كلِها ما أمكنني ذلك؛ إذ العبرة في التواريخ بالحقائق لا بالأسماء، وقد يأتي مطّلع على مقالاتي هذه ممن لم تُعجبه فيقول: لم أهمل أسماء المعنيين في التاريخ المذكور؟!، فأقول له: لا تكن أَشْأَمَ أخٍ في قومه وحزبه، كانوا في ستر الله فَفُضِحوا بتفتيشك ما أخفي، ولا تَستنزلن ما لا يرضيك أنت ولا حزبك؛ فإن الكاتبَ لم يهمل ذلك بل تركه عمداً رجاء النفع، وأن يعود من تَنَكَّب الطريق إلى الخط المستقيم.

ولستُ بِكَتْب ونَشرِ تلك المقالات مثيراً للبلبلة في السّاحة الدعوية بل هي -إن شاء الله- مُصحِحَةٌ وشافيةٌ للأمراض بإذن الله؛ وإن من الدواء ما مَذَاقُه مرٌّ وما من تناوله بدٌ، فهي على ما قاله بشّار بن برد:

الشيبُ كُرْهٌ وكُرْهٌ أن يفارِقَني ... أَعْجِبْ بشيءٍ على البَغْضَاء مَوْدود.

كغيره من العالم الإسلامي تعرض بلاد الصومال لأنواعٍ من الاضطهادات والظلم من القوى الغربية، تمثل ذلك باحتلال أرضهم، وتقسيم وحدتهم، ونشر ثقافات لا يعرفونها، بيد أنه وُجِد هناك بواسل من المؤمنين وقفوا ضد هذه الأطماع فقاوموا وجاهدوا في الله فحافظوا للأمة بعضَ دينها لكن بقوّة سلاح العدو لم يصمدوا كثيراً؛ فتعرضت الأمة لطمس هويتها، وفي مستهل العقد السادس -والوضع على ما ذكرته- حصل ما سُمّي استقلالاً وتوحداً بين المنطقتين الصوماليتين —الشمالية والجنوبية-، ومع الاستقلال والتوحّد المذكورَين لم يتغير الوضع الأخلاقي الديني كثيراً.

وفي أواخر العقد السادس من القرن الماضي هبَّ فتية آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين؛ فتأسست حركة اتحاد شباب المسلمين—وهي غير حركة الاتحاد الإسلامي- في القطر —كما سبق القولُ به- على يد شَبَبَةٍ لم تتجاوز أعمارُ كثيرٍ منهم العقد الثالث!، فوقفوا فقالوا: لا، وكيف لا، وهم يرون ما أريد لأمتهم من شرّ.

وكانت صحوتهم تلك مستمدّة من كتب الإخوان المسلمين بمصر التي دخلت في البلد.

ظلّتْ هذه الحركةُ نشطةً ويقظةً وحقّقت نجاحاً في داخل صفّها، وفي بداية العقد السابع اختفت الحركة بسبب الضغوطات الأمنيّة من الثورة التي كانت تعيش في تلك الحقبة عهدها الشبابي وتسكر بولادتها، وتقضي على كل ما يمكن أن يُعَكِّر صفو نشوتها.

وبعد زمنٍ غيرِ بعيد وبالتحديد في منتصف العقد السابع حاول قادة حركة اتحاد شباب المسلمين تنظيم صفوف الحركة من جديد وتغيير تكتيكها في سبيل إنجاح مهمتهم العظيمة –الدعوة إلى الله– وشمل التغييرُ الاسمَ الحركيَ فاتّخذت لنفسها اسماً جديداً وهو حركة الأهل، واختيار هذا الاسم كان له دلالاتٌ أمنية حماهم الله به من عيون العسكر؛ ذلك أن العضو منهم كان إذا سئل عن زميله تَسنّى له أن يقول: هو من الأهل موهماً بذلك أنه من أقربائه.

واكتسبتْ الحركةُ باسمها الجديد وبعصرها الجديد أعضاءً جدداً، وبدأت تنمو تدريجياً وتوغل تأثيرها في ثلاث مجالات: المجال العسكري والمجال التعليمي ومجال العمّال والموظفين، فأحرزت تقدماً في المجالات المذكورة مكتسبة أعضاءً كثيرين في كلٍّ من المجالات الثلاثة المذكورة.

ثم إنه قُبيل انصرام العقد المذكور حَدَثَ ما لم يكن بحسبان؛ وذلك بأن قام بعضٌ ممن كان في رأس هرم الحركة باستيراد أفكار تكفيرية واعتناقها، وكانت تلك الأفكار تعجّ بها بعض البلاد الإسلامية كمصر مثلاً، ثم بدأ يمتحن بها الأعضاء فانشقّ الصّفُ وانصدعَ الجمعُ، وحلّ القدر وطوي صفحة من أمر الحركة، وبَزَغَ في الوجود حركتان هما: الجماعة الإسلامية وانضم إليها معظمُ من كان في الأهل من الأتباع، وحركة الإصلاح، وبقي عدد ممن اعتنق التكفير من معظم قادة الأهل بلا اسم اختاروه، لكن المتعارف عليه أنهم من الحركات التكفيرية؛ وبهذا اختفى اسم الأهل عن الأنظار وبلا رجعة.

وكان عهدا حركة اتحاد شباب المسلمين والأهل من أفضل عهود الحركة الإسلامية في الصومال من حيث الجهد المبذول والتضحية والإخلاص وصفاء الأخوة في الله، كل هذا كان حاصلاً بشهادة من قَرُب عهدُه بعهدهم.

هذا ما كان من أمر جنوب الصومال، وأما شمال الصومال الذي نال حريته من الاستعمار البريطاني قبل الصومال الجنوبي بأيامٍ معدودةٍ فعشعش فيه تنظيم سُمّي وحدةَ الشباب، وكان إنشاؤه في نهاية العقد السادس، أي بعيد قيام حركة اتحاد شباب المسلمين في الجنوب، بل

جاءت فكرة تأسيسه من أحد أعضاء اتحاد شباب المسلمين بعد رجوعه من الجنوب. ومن ميزة حركة الوحدة في الشمال أنها سَلِمتْ إلى حدٍّ كبير من الانشقاقات التي هَبّت رياحُها على الحركة الإسلامية في الصومال الجنوبي، وكانت الوحدة تنظيماً إخوانياً محلياً صِرفاً لم تشبه شائبة المدرسة السلفية.

ولما استقرّ الأمر على هذا قام بعض الإخوة السودانيين من الحركة الإسلامية في السودان بمبادرة طيّبة تدعو إلى لملمة الشمل ورأب الصّدع بتوحيد الحركات الإسلامية في الصومال، وهذه الدعوة –وإن لقيت قبولاً واستحساناً داخلياً– تعامل معها الصوماليون بحذر خوفاً من اختراقات أمنية خارجية قد تحفّ تلك الدعوة، فأحبوا قبول الدعوة لكن تركوا تنفيذها لأيدٍ صومالية، فقاموا – مشكورين– بتأسيس كيان يجمع الدعاة ويستظل به الجميع فتوحدت الجماعة الإسلامية في الجنوب بالوحدة في الشمال واختير لها اسم أصبح فيما بعد أشهر أسامي الحركات الإسلامية في الصومال وهو (الاتحاد الإسلامي)، وأعلن ولادة هذا الكيان رسمياً.

وشمل هذا الاتحاد معظم الحركات الإسلامية في الصومال جنوبَها وشمالَها ما عدا الذين اعتنقوا التكفير، وجماعة الإصلاح، وأفراداً لقّبوا فيما بعدُ بـ آل الشيخ نسبة إلى الشيخ الكبير المفسر الصومالي محمد معلم الذي عارض بدوره فكرة التوحّد الجديد.

والملاحظُ في هذا الاتحاد أنه كان اتحاداً ممزوجاً بين حركة تنتمي إلى أيدلوجيات الإخوان المسلمين وبين أتباع المدرسة السلفية على رأسهم خريجو الجامعات السعودية.

ولم يُعمَّر هذا الاتحاد والتوحدُ كثيراً فتمحض للمدرسة السلفية؛ إذ كانوا هم الأغلب في الاتحاد الإسلامي، وبقي كثيرٌ من الوحدة على حالهم لكنهم لم يظهروا انشقاقاً ظاهراً أو الإعلان بكيان مستقلّ، وظل الأمر راكداً إلى حد كبيرٍ، بيد أنه وجد في داخل الصّف الاتحادي –خاصة من كانوا من الشمال– من يسعى إلى فصل أعضاء الاتحاد الشماليين ثم

تأسيس حركة جديدة تضمهم والوحدة في الشمال، وانهارت الدولة الصومالية قبل قيامهم بأي شيء ما عدا لقاءات سرية كانت تَحدثُ في مقدشو، وبعد سقوط الدولة توجه كلُ فرد إلى إقليمه ومحافظته ومدينته، وما ان استقر الشماليون في الشمال حتى ظهرت الفكرة من جديد، وحصلت نقاشات حادّة في داخل الصف الاتحادي الشمالي وانقسموا إلى رأيين: رأي الأغلب وهو البقاء على الأمر الأول -أي حركة الاتحاد الإسلامي -، ورأي يميل إلى فصل الاتحاد الشمالي من الاتحاد الجنوبي، وتأسيس حركة جديدة مكوّنة من الاتحاد الشمالي والوحدة لتصبحا حركة واحدة مُنفصلة عن الحركة الإسلامية في الجنوب، وبعد نقاشات حادّة استمرّت عدة ليالي صوّتَ الأغلب للرأي الأول، إلا أن هذا التصويت لم يعالج في الأمر شيئاً؛ فبادر أصحاب الرأي الثاني إلى إعلان حركة سمّيت حركة التجمع الإسلامي، وذلك في منتصف العقد الأخير من القرن الماضي تقريباً، ولم يدم هذا التجمع طويلاً؛ فأعلن في مدينة لاسعانود ولادة ترميم جديد بين التجمع وبين حركة الاتحاد الإسلامي، ووشح هذا الترميمُ الجديد باسم حركة الاعتصام بالكتاب والسنة[٤].

عودة إلى العقد التاسع، وحال الاتحاد قبل انفصال قادة حزب السّلفية

نشط الاتحاد الإسلامي -الذي ولد قبيل انتصاف العقد التاسع- واكتسح السّاحة الدعوية وكثر أتباعه رغم التشديدات الأمنية المحاطة بهم من قبل العسكر، ونجح في إيصال كلمة الحق إلى شرائح المجتمع وتغلغل في الدولة وفي المؤسسات التعليمية كثيراً، وحصل لأتباعه فرصٌ تعليمية كثيرة في خارج البلاد على رأسها المملكة العربية السعودية، وفي السنوات الأخيرة من العقد التاسع وقبيل سقوط حكومة الثورة ظهرت بوادر الخلاف في داخل الجماعة لأسباب أذكرها لاحقاً، واشتدّ هذا الخلاف وطفا على السّطح واستمر حتى سقطت الدولة وحلّت

[٤] هذا العرض التأريخي السريع في الحركة الإسلامية في الصومال تقريبُ الصورة العامة، وليس الغرض منه تحقيق الواقع، والوقوف عند كل منعطف؛ فإن هذا يتطلب أن يفرد له بحث مستقلّ، وهو عمل يتمنّاه الجميع، ولعل جامعة النّجاح تحمل على عاتقها تحقيق تلك الأمنية في الوقت القريب إن شاء الله.

الفوضى محل الدولة، واتسع الخلاف وصاحبه قيام بعض من أفراد الحركة بأعمال لا تمثل الحركة فزاد الطين بلّة والأمر علّة، فحاول بعضٌ ممن نقم على الاتحاد الإسلامي تأسيس كيان مواز للاتحاد الإسلامي واخترع له اسم أنصار السنة،.

استهلّ العقد العاشر والخلاف الداخلي للحركة على ما ذكرته وكانت هناك محاولات عديدة لوقف الاختلاف والعودة إلى ما كان عليه الأمر من قبل لكن الأحداث كانت أسرع من المحاولات، وظهر في الأفق تيّار يحاول إثباتَ وجوده والقفزَ من حظيرة الاتحاد الإسلامي لكنه حيران سُدِل على وجهه ضبابٌ كثيف إذا أخرج يده لم يَكَد يراها، راموا الانفصال لكنهم شعروا بأن الانفصال إذا لم يجد سنداً خارجياً وشعبية داخلية فمصيره الفشل كما رأو أن حركة أنصار السنّة التي أعلنت ماتت ساعة ولادتها؛ فبحثوا مبررات للانفصال فتعلقوا ببعض الأحداث لكن لم تنجح كل هذه المحاولات لأنها قوبلت بإصلاح تلك الأحداث، فاستمرّ أمرهم على هذا والضباب لم ينقشع بعدُ، وفجأة ظهر في الخليج تيّار عالي الصوت ينادي بمحاربة التنظيمات الإسلامية، فلما بلغ صدى النداء إلى الآفاق تنفّس منتقدو الاتحاد الإسلامي الصعداء، ووجدوا ملاذاً آمناً لهم فتحركوا بسرعة فائقة إلى الجهات –وكانوا قبل هذا محصورين في أحياء من العاصمة مقدشو–لانتهاز الفرصة السانحة، وقاموا بتواصل مع قيادات التيّار الجديد الذي ولد في الخليج، ونجحوا في إيصال أبجديات هذا التيّار الجديد إلى المحافظات الصومالية مركزين على شمال الصومال الذي أصبح بعد سقوط الدولة المركزية جمهورية مستقرة ومستقلة عن باقي الصومال، ونجحوا في تجنيد عضو فعّال من أهل الشمال –عاش في الجنوب دهراً، من خريجي الجامعة الإسلامية– خاصة من مدينة برعو، وفي هذا الوقت، وجدوا في الشمال وفي هرجيسا تحديداً طلاباً رجعوا من اليمن حاملين توجهات المدرسة المقبلية، فنجحوا في ضمهم إلى أعضائهم في برعو، وجعلوا لهم قيادة واحدة سُمّي بقيادة علميّة تحت تصرف العضو الجنوبي الشمالي المذكور.

هكذا كانت ولادة هذا التيّار وأصبح له وجود حقيقي في السّاحة الدعوية الصومالية؛ وليس غريباً أن يُولد تيّارٌ أو تنظيم، ويموت آخر، وليس غريباً -أيضاً- أن يتباين تنظيمان مختلفا الانتماء المدرسي كما حصل مراراً، لكن الأمر الذي ينبغي أن نفهم هو ماهية الخلاف الذي مُنيت به أبناء المدرسة السّلفية الواحدة -حزب السلفية وجماعة الاعتصام بالكتاب والسنة-، وأن ندرك —حسب المستطاع- كُنْه ذاك الاختلاف وأسبابه.

أسباب الاختلاف

حاولتُ —وحاول غيري- كثيراً فهمَ أسباب الاختلاف والانقسام الذي أدى إلى الواقع الحالي من الجماعتين السلفيتين —بناء على دعواهم-، وجلستُ كثيراً مع المعنيين بالحقبة الماضية فرأيتهم لا يختلفون كبيرَ شيءٍ في تلك الأسباب؛ فرأيتُ تدوين ذلك وإن كان بعضُها مُرّاً تَكرهُه النّفوسُ خاصّة النفوس التي تلبست بها.

وقسمت تلك الأسباب إلى قسمين: أصلية وفرعية أو منشئة ومساعدة:

الأسباب الأصلية المنشئة وهي على النحو الآتي:

١) مصالح دنيوية مثل:

- ✓ إدارة الجماعة؛ حيث رأى الذين نقموا على الاتحاد الإسلامي فيما بعدُ أن هناك استئثاراً بأمر الجماعة ومصالحها من جهة آخرين.

٢) التأثيرات القبلية. ابتليت الأمة الصومالية بالقبلية، ودخلت في كل مجال ولستُ مبالغاً إن قلت: لم يسلم منها شيء حتى المساجد التي يذكر فيها اسم الله!، فهي مطيّة للمعوزين والفاشلين في الحياة، فمن سقط في الحياة يحاول ترقيع الفشل بالقبلية. لهذا لعبت القبلية في الخلافات دوراً أساسياً لا يمكن لأحد إنكاره ولا دفعه.

الأسباب الفرعية المساعدة وهي على النحو الآتي:

١) خروقات وتجاوزات من بعض الأعضاء في بعض قرارات الجماعة، والتي فُسرت من قبل البعض أنه استبداد وتفرد بمصير الجماعة.

٢) بعض الأحداث التي مارسها بعض الأعضاء من الجماعة مثل: أحداث جدو، كسمايو، بوصاصو، وسيأتي الحديث عنها في المقالات القادمة إن شاء الله.

وأخيراً فإن كاتبَ هذا المقال –وما بعده من مقالٍ– لا يدّعي العِصمة من الخلل والزلل، ولا يدّعي –أيضاً– الإحاطةَ والتفردَ بقول الفصل، ولستُ–أيضاً– منزعجاً من النقاشات العلمية والمطارحات النافعة، ولكنني أنْصَحُ لمن لم تُعجبه هذه المقالات أن يُدلِي في بحر العلم دلوه ويخرج للأمة ما بقعره نصيحةً لها وللكاتب، وإذا عَجَزَ عن هذا فلا مَنْدُوحةَ له عن السُّكوت؛ فإن ذلك خير له، وليأخذ بنصيحة العلّامة ابن القيم رحمه الله في نونيته:

من كان هذا القدرُ مبلغَ علْمه ... فَلْيستتر بالصَّمت والكتمان

سائلاً المولى أن يُسدِدَني ويَقِيني شرّ نفسي وشرّ الشيطان.

كتبه/ د. فيصل بن محمد بن علي. غُرة شهر رجب الفرد/١٤٣٨هـ في مدينة بُرْعو